

عموماً وفي الأندلس خاصة، كما يشكلها الأفق العقلي الذي أوجدته فلسفات عصر النهضة. ومثل تلك المرجعية هي ما نحتاجه لفهم ازدواجية الصورة التي نجدها عند وردزورث بعد ذلك، خاصة وأن نصه الشعري يستثير الرواية الأسبانية بشكل مباشر وقوي.

إن من الصعب طبعاً الدخول في تفاصيل المرجعية التاريخية الثقافية التي تحيط بأعمال وردزورث أو غيره من الرومانتيكيين، لكن من الممكن أن نلمح تلميحاً إلى نقطة تتصل اتصالاً وثيقاً بموضوعنا، وهي أن الهيمنة السياسية والحضارية التي كانت أوروبا قد بدأت تمارسها في أثناء القرن الثامن عشر قد أدت إلى تولد ظاهرة أكثر وثقاً واطمئناناً تجاه الشعوب الآسيوية والأفريقية. بل إن تلك الشعوب قد تحولت إلى موضوع تأمل لفلسفات وعلوم جديدة أو أخذة في التبلور، كعلم الاجتماع وعلم الإناسة (الأنثروبولوجيا)، كما نجد في كتابات جان جاك روسو وغيره حيث تبلور مفهوم «الهمجي النبيل» Noble Savage كوسيلة لفهم الفروق الحضارية بين أوروبا والعالم.<sup>(١١)</sup> وكانت حملة نابليون في أعقاب الثورة الفرنسية مفتتحاً لمرحلة جديدة في العلاقة بين أوروبا والشرق العربي - الإسلامي أدت إلى تذكير الأوروبيين بالمرور الحضاري الضخم لتلك المنطقة من العالم. وقد تم ذلك بالدرجة الأولى على يد المستشرقين في بدايات حركة الاستشراق كنشاط علمي استكشافي منظم. وكان من نتائج تلك الحركة تنامي الصورة الإيجابية للعرب والمسلمين. غير أن تلك الصورة الإيجابية لم تمنح تماماً الترسبات السلبية القادمة من موروث الحروب الصليبية، أو من كتابات بعض الرحالة.

---

(١١) يقال إن جون درايدن هو أول من استعمل عبارة «الهمجي النبيل» وذلك في مسرحيته فتح غرناطة على لسان الفارس العربي المنصور ابن أبي عامر، وسواء كان ذلك صحيحاً أم لا، فإن استعمال العبارة لوصف عربي يعتبر سابقة هامة وممهدة للتوظيف الرومانتيكي خاصة في «الحكايات التركية» لبايرن. غير أن المؤكد هو أن جان جاك روسو قدم النموذج الرومانتيكي الأهم لاستعمال تلك العبارة كما في: *Emile* (1762).

انظر :

John Dryden, *The Conquest of Granada* ed. George Saintsbury (New York: Hill and Wang, 1957) 25.